مجلة العاصمة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرلا، الهند

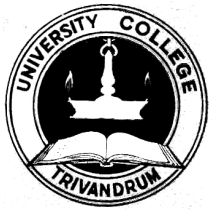

قسم العربية، كلية الجامعة، ترونتبرم، كيرالا، الهند، ٦٩٥٠٣٤

تأثير التشيع في حياة مسلمي كيرلا

د/ ك. شيخ محمد

أستاذ كلية مدينة العلوم العربية، ملابرام، كيرالا، الهند

إذا نظرنا إلى تاريخ المسلمين في الهند نرى أن الشيعة قد أخذوا كمية من المسلمين إلى عقيدتهم، ونشروا بين مسلمي الهند أفكارهم في وسائل مختلفة، مرة بحب أهل البيت ومرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى لعليّ بن أبي طالب بالولاية والخلافة بغدير خم حينما يرجع من حجة الوداع. ولكن ليس لهذه الفكرة الشيعية تأثير يذكر في مسلمي كيرلا، إلا أنهم حاولوا كل المحاولة لنشارها. ولكن قد خسروا وخابوا ورجعوا إلى مراكزهم بدون أن يجدوا صدى لأفكارهم في أهالي كيرلا. وسبب ذلك أن رئاسة الدين في كيرلا كانت تحت إشراف علماء أهل السنة مثل زين الدين المخدوم وغيره من الأسرة المخدومية من قرنة فنان. وتلاميذهم قاموا بنشر تعاليم الدين في أنحاء كيرلا. وقرية فنان كانت مشهورة في ذلك الوقت داخل كيرالا وخارجها، لأنها كانت مركز علم عامرة بالعلماء والفقهاء. ولذلك سماها المسلمين بمكة كيرالا. وبعد مدة من الزمن قد نشأ في مليبار فكرة الشيعة بطريق أحد رجالها المعروف بالشيخ السيد كندوتي تنكل، وكان نصف شيعي ونصف صوفي. وكان له مكانة بين أهالي كيرالا ولكن كان تأثيره قاصرا في قريته وما جاورها، وكان يدعي كسائرهم أنه من أهل البيت، حين كان المسلمون ينظرون إلى أهل البيت بكل إكبار وإجلال. فأراد هو وأتباعه إدخال الفكرة الشيعية بين المسلمين من أهل السنة الذين كانوا لا يعرفون عن حقيقة الشيعة قليلا ولا كثيرا، وحرضوا الناس من أهل السنة على بناء القباب على القبور وعقد الأعياد عند ضريح الصالحين والاستغاثة بهم والنذر لهم وقراءة المواليد عن بعض أئمتهم الكبار معتقدين أن هؤلاء شفعاؤهم عند الله. نجحوا قليلا في هذه الناحية من غير إظهار حقيقتهم وعقائدتهم وأسمائهم حتى أن علماء أهل السنة كانوا يقرءون مولد فاطمة رضي الله عنها كل ما انتشر الوباء في أهالي كيرالا. اجتمعوا في بيت من بيوت المسلمين وقرأوا مولد فاطمة رضي الله عنها بكل تعظيم ووقار. وهيأوا الطعام في هذه المناسبات، وبعد الفراغ من الطعام تجاولوا في القرية ولم يتركوا بيتا من بيوت المسلمين وأحذوا من كل بيت التبرك ناشدين قصائد فضائل أهل البيت. منها:

لي خمسة أطفئ بها نار الوباء الحاطمة المصطفى والمرتضى وأبناهما وفاطمة

انظر كيف أدخلوا فكرة الشيعة بين المسلمين من أهل السنة. هذه واقعة وقعت في مسلمي كيرالا قبل سبعين عاما. ومن تأثيرات الشيعة بين أهل السنة أنهم كانوا يسمون أولادهم بأسماء أئمة الشيعة –بزعمهم- مع تغيير يسير، مثل علي أكبر، وأكبر علي، وبركة علي، وشوكة علي، ولياقة علي، وغلام حسين، وأصغر علي، وعلي أصغر، وغيرها من الأسماء. ونرى بعض أسماء المساجد كالمسجد العلوي ومسجد الحسين. وأهل كيرالا يذكرون في وعظهم قصة عليّ رضي الله عنه بكل إجلال وإبكار، مثل عليار تنكل. ولكنهم لا يجلون أبابكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كما يجلون علي رضي الله عنه. ونرى في كيرلا لصاقة مطبوعة فيها "يا الله ويا عليّ ويا حسين" مع أن عدد الشيعة في كيرلا قليل جدا. هذا أيضا يشير إلى تأثير الشيعة في أهل السنة. وكانوا يضعون أسماء رؤساء الشيعة في الإطار الزجاجي ويعلقونه أمام بيوتهم ومسكنهم وسياراتهم إجلالا وإكراما، حتى نرى في يومنا هذا في قيد المفاتيح أسماء أئمة الشيعة الكبار مثل عليّ وفاطمة وحسن وحسين، في أيدي شباب المسلمين من أهل السنة. وبمثل هذا يريدون إنشاء أسماء أئمتهم تذكارا لهم، وعلاوة على ذلك هذه الأسماء تكون دائما في قلوبهم.

الشيعة ومولد النبي ﷺ

إذا نظرنا في تاريخ الإسلام نرى أن أول من أحدث المواليد هم الروافضة. أحدثها أولا بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، أولهم المعز لدين الله. توجه من المغرب إلى مصر ودخل القاهرة سنة ٣٦٢ هـ. فابتدع سنة المواليد –أي مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد عليّ بن أبي طالب، ومولد فاطمة، ومولد حسن، ومولد حسين رضي الله عنهم، ومولد خليفة الحاضر المعز لدين الله. فلما ألغى أمير الجيش الأفضل احتفال المواليد المذكورة قتله الخليفة. انتشر أفكار الشيعة في أهل كيرالا في صورة متسعة منذ سنوات قليلة، منذ ثورة إيران قادها آية الله روح الله الخميني في السبعينات للقرن العشرين. فقد قام طائفة من الشباب بنشر عقيدة الخميني وتعاليمه بين أهالي كيرالا. وقالوا: حركة إيران حركة إسلامية خالصة، وإن الخميني يحاول إخراج الطاغوت، ملك شاه بهلوي، ملك إيران من عرشه وحكمه، ويريد تأسيس الحكومة الإسلامية، وفي عبارة أخرى الحكومة الشيعية المحضة. فعلى كل مسلم في العالم أن يشدده بالمساعدة والمعاونة ماديا معنويا. بعض قواد المسلمين في باكستان قال في مقابلة صحفية: "ثورة الخميني ثورة إسلامية وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة أن تويد هذه الثورة وتعاونها في جميع الحالات". فبمثل هذه الدعاية كان لأفكار الشيعة بعض التأثير في بعض شباب كيرالا حتى أنهم اتخذوا لجنة خاصة لهذه الغرض، وهم يذكرون أهميتها حتى في يومنا هذا. نذكر بعض نماذج المواليد الجارية في كيرالا بين المسلمين من أهل السنة والجماعة.

المدح على عليّ بي أبي طالب رضي الله عنه

نرى في كتاب المولد الذي تصدر من كيرالا مدح عليّ بن أبي طالب هكذا: "وقوى عليّ بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيف المسلول وزوج البتول وابن عم الرسول الإمام الهزبر المصمم الغالب أبي الحسنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه كل حين، وهو الرابع من الخلفاء الراشدين ومن صفوة العشرة المبشرين الذي وضع قدمه على ختم خاتم المرسلين والحامل لواء الحمد في يوم الدين والذي ثبتت في فضائله الآيات في شرفه الأحاديث الصحيحة الروايات، وكم ظهرت منه الكرامات الخوارق للعادات وانقمعت به رقاب الملوك الجابرات. عليّ بن أبي طالب سيد الناس:

صلوة وتسليم وأزكى تحيـة على المصطفى المختار خير البرية

* * *

عليّ أبو الحسنين منهم مشرف بأنواع تشريف وأعلى مزية
رضى الله عنه كل آن وساعة هو العادل المهدي حوى كل رتبة
فروض علينا حبه وأتباعه لما كان أركانا لدين الهداية
هو الرابع الخلفاء صهر لخاتم وزير جليس عنده كل ساعة
ومولده في داخل الكعبة فذا خصوص له لم يعرفن من برية
ومن فضله ما كان موضوع قدمه على موضع فيه ختام النبوة
نسيب أصيل في قريش شريفهم جواد كريم بالعطايا بطاقة
وفتاح أبواب لحصن بخيبر لزمرة اعدا قامع ذوا الشجاعة
حليم سليب القلب ذو الغزة الغنى سخي كثير الجواد يوما بدومة
وقور مهيب الوجه أسد يقاتل سلوا باسه في كل موطن غزوة

مدح أيضا في كتاب المولد: إن عليّ بن أبي طالب أقام عند النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وبعث نبي الله فآمن به وصلى معه ولم يشرك بالله طرفة عين وقال عليّ رضي الله عنه: عبدت الله خمس سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة.

وقال صلى الله عليه وسلم: لقد صلت الملئكة علي وعلى عليّ بن أبي طالب لأنا كنا نصلي وليس معنا أحد، وله من الكرامات مالا يبلغ لها غاية ومن خوارق العادات مالا تدرك لها نهاية. فمن بعضها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان لعليّ أربع فضائل لو قسمت واحدة منهنّ على أهل الأرض صاروا سعداء أوليها أنه أول الصبا وضع على بساط الإيمان، والثانية أنه إذا هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم من سدرة المنتهى سمع خفقان أجنحته في الإتيان، والثالثة أن عقد نكاح عليّ فاطمة الزهراء كان تحت شجرة طوبي بشهادة المقربين والعاقد رب العالمين وحامل الكتاب جبريل الأمين، والرابعة أنه وضع قدمه موضع ختم النبوة صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عند إلقاء هبل عن الكعبة بالنقلع والذكة[١]. وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت عليا ليلة المعراج في السماء فقلت: يا جبريل عرج بعليّ قبلى في السماء فقال: لا بل إن ملئكة السماء من شوقهم إلى علي رضي الله عنه خلق الله ملكا منهم على صوته لفرط شوقهم ويثابون إلى زيارته[٢].

نرى في كتابه أيضا: قال تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في عليّ رضي الله عنه، لأنه كان معه أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فنزلت فيه. وقال ابن عساكر قال: ما نزلت في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ لأنه نزل في عليّ ثلثمائة آية وكانت لعليّ كرم الله وجهه ثمانية عشر منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة. وكان له رضي الله عنه ما شئت من ضوس قاطع في العلم. وكان له القدم في الإسلام والصهر برسول الله والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في المال. وأورد الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن ليلة بات عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله. أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحيوة اهبط الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي ويقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله الملئكة بك فأنزل الله تعالى: ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد[٣]. وهذا من شجاعته كرم الله وجهه:

رضاء خلاقنا على عليّ أمـ ير المؤمنين وذي الإحسان والكرم
سبحان خالقه صدحا لمنشئه
حمدا لمظهره للناس كالعلم شاعت فضيلته ضائت خلافته
بانت شجاعته في القطر ذي الظلم
شمس لدين الهدى بدر لملتنا هل رأيت شبها له في العلم والحلم
قد خص بحكمة حار العقول لها
ما نلت مثلا لها في صحبة عظم قوي قلب شجاع في معاركة
فهد لحتف على الكفار كالحمم
وكم فتحت بلاد الكفر واضطربت لصولة منه ما في الناس من ارم
فسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا

* * *

١ كتاب ٣٣٣ وك مولد، طبع محمد كد آند سنس، ترورنغادي، كلابرام، ص: ١٦٥
٢ المصدر السابق، ص: ١٦٦
٣ المصدر السابق ، ص: ١٦٨

نرجوك جودا شقي فورا ومغفرة موتا على الحين ادحالا على نعم
ثم الصلوة على محمد وعلىّ
آل وأصحابه ذي الجود والكرم ثم الرضى عن عليّ والبنين وعن
أولاد أولاده كانوا على كرم

وعن أبي ذر رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به مررت بملك جالس على سرير من نور إحدى رجليه في المشرك والأخرى بالمغرب والدنيا كلها بين يديه لوح فقلت: يا جبريل من هذا قال: عزرائيل تقدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فقال: وعليك السلام يا أحمد ما فعل ابن عمك علي، فقلت: هل تعرف بإبن عمي عليا، قال: وكيف لا أعرفه وقد وكلني ربي بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح ابن عمك عليّ، قال لي النبي صلى الله عليه وسلم من مات على حبك بعد ختم الله له بالأمن والإيمان"[١]. الحكايات والقصص الواردة في كتاب المولود لا أصل لها. وهي مضادة لتعليم القرآن والسنة. افتروا هذه الحكايات على الرسول وكبار الصحابة مثل ابن عباس وعليّ بن أبي طالب وأبو ذر الغفاري. بعض الأبيات من المواليد دعاء الرسول وعليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وذلك لشفاء المرضى وتحصيل المراد الدينيوية والأخروية. نرى تأثير الشيعة في هذه الأبيات المذكورة أعلاه. الشيعة هم السابقون في أعمال الشرك والبدع. أما في مجال الأدب فلها قيمتها الأدبي. إذا نظرنا بعض الأبيات في كتاب المولود نستطيع أن نرى الدعاء إلى فاطمة لشفاء الأمراض. ومع ذلك أن فاطمة ليس كمثل النساء، ليس لها حيض ولا نفاس، وهذا الدعوى باطل. انتشر الشرك وعبادة القبور في كيرالا بواسطة الشيعة. أكثر أهل كيرالا ينتمون إلى أهل السنة والجماعة، ويقلدون المذهب الشافعي. أما جميع الكتب في المذهب الشافعي ينكر عبادة القبور. فكيف انتشر الشرك في كيرالا؟ هذا بأجل تأشير الشيعة في مسلمي كيرالا. نرى عباد القبور في جميع المراكز الشيعية مثل إيران والعراق وسوريا. وفي أغلب الموالد المنتشرة في كيرالا أدعية للنبي وعليّ وحسن وحسين وفاطمة. وللموالد يد طولى في كون الشرك فاشيا بين الناس، كما نرى في كتاب الموالد:

"ارتكبت على الخطا غير حصر وعدد لك أشكوا فيه يا سيدي خير النبي

أما من وجهة الأبية فقد ساهمت المواليد المساهمات جليلة في لغة العربية وآدابها. نرى أساليب جميلة واستعمالات بديعة في المواليد السابقة:

يا نبي سلام عليكم يا رسول سلام عليكم يا حبيب سلام عليكم صلوات الله عليكم

البيت السابقة نسمعها من كل لسان بدون الفرق بين الصبيان والشيوخ، ولبعض أبيات المواليد جاذبية وسحر تسحر القلوب. وهناك مواليد لا تعد بالعشرات والمئات، لا ننقبها خوفا من الإطالة.

[١] المصدر السابق، ص: ١٦٩